أحكم من إذا أراد الله تعالى أن يحدث في العالم حدثا أعلمه به قبل حدوثه فيقولون لا فيقولوا بكوا على قلوب
محجوبة عن الله عز وجل ومنهم من إذا دخل البستان نادته كل شجرة وأخبرته بما فيها من المنافع والمضار وقد
سئل عن ذلك سيدي إبراهيم المتبولي فقال دعوه فلي قد أعطيت هذا المقام وأنا دون البلوغ وقد أخبرني
الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الشربيني أن ملك الموت جاء لقبض روح ولده أحمد هذا فقلعه من يده قلعا عنيفا وقال
راجع ربك فعاش أحمد بعدها نحو ثلاثين سنة وكذلك وقع للشيخ أبي الطاهر في عصر الشيخ أبي الحجاج الأقصري ذكره
في كتاب الوحيد ورأيت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى نزل سلم المقياس لما توقفت النيل عن الزيادة فقرضنا
وصار الماء يتبعه فزاد في ذلك اليوم ذراعا ولما توقفت النخلة التي في حوش سيدنا القديم عن الحمل كذا كذا سنة
ذكروا ذلك له فقال لي قل لها الحاج علي الخواص يقول لك احملي هذه السنة وإلا قطعوك فحملت تلك السنة حتى
جعلنا للعراجين شكالات من كثرة الحمل وهذه المنة من غرائب الزمان فقل فقير يصح له الاجتماع بمثل
هؤلاء في مثل هذا الزمان الذي استتر فيه الأولياء بسبعين ألف حجاب وتقدم أنني اجتمعت بالمهدي والخضر
عليهما السلام فالحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي دقتي عند حاجة لي شيخي من عدم مصاحبة
كل من اتصف بكذا وكذا حتى أن شيخي لو اتصف بذلك الأمر وقفت عن صحبته حتى يأذن لي في صحبته
بأمر جديد لأنه ليس للمريد أن يقتدي بجميع أفعال شيخه إلا بإذن منه وعهد الشيخ على المريد من جملة
حقوق الله عز وجل وهي مقدمة على حقوق الخلق وهذا الخلق فيه خفاء إلا على من نور الله تعالى
بصيرته وغالب المريدين يقول إن شيخي لا يدخل فيمن نهاني عن صحبتهم مثلا ولو أنهم أخذوا
بالاحتياط لعهد الله تعالى وتجنبوا شيخهم عملا بعموم اللفظ لكان أولى وأرجح في طريق الاقتدا
وقد قالوا امتثال الأمر أولى من سلوك الأدب لأنه يطلق على من أمره شيخه بالجلوس على كرسي مثلا
ممتنعا وعلى من لم يفعل ذلك تعظيما له مخالفا في الصورة وكان أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يخبرنا
ولا يمكننا أن نخرجه وكنا إذا دخلنا مكانا في وليمة مثلا نجعل جميع نعالنا في حزيمة ونحملها وكنا
لا نصلح تلامذة له رضي الله تعالى عنه وقد حكى الشيخ أبي الحجاج الأقصري نهى بعض تلامذته عن
صحبة الملوك وعن صحبة من يصحبهم ثم إن الشيخ صحب سلطان مصر وسافر معه فهجر الشيخ أبو الحجاج شيخه
صورة عملا بوصيته لأن شيخه لم يستثن نفسه من ذلك فشكره شيخه على ذلك وقال نعم ما فعلت لأني
وإن صحبت السلطان مع ظني في الله تعالى السلامة منه فإني ركبت بذلك الخطر فقل فقير يسلم من
صحبتهم لأنها لا تصحب لغير الجنس وقد نهى العقلاء عن ذلك لأن من يصحبهم يحتاج إلى موافقتهم
وموافقتهم لا تنضبط على الشرع وربما كان في موافقتهم فساد الدنيا والدين فإنهم قالوا القرب
من السلطان كحد السيف لأن مال من تصحبه ودمه بين شفتيه بإذن الله تعالى وما لم يكن الذي
يصحبه بنحو حال يحبه موافقا للأحكام يرضيه منه في سائر أحواله وإلا أدى ذلك إلى الهلاك غالبا
وأيضا فإن دخول منازل الملوك محسود عليها فيعمل له الأعداء المكايد ويرمون ما استطاعوه من
السوء بينه وبين السلطان حتى يصير من أعدائه كما جربنا ذلك فعلم أن التزام المريد العقد
مع شيخه أن لا يصحب من يصحب الملوك مثلا حتى شيخه أولى لأنه يريد حل عقده مع الله تعالى معصية
لله تعالى ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولو كان شيخه أو إمامه ولعل شيخه إنما قصد بما
وقع امتحانه لينظر هل يقف مع العهد أم يرد وذلك بعقله الحقير مراد شيخه وقد أخبرني
سيدي محمد الشناوي أنه كان مسافرا مع شيخه الشيخ أبي الحمايل في بلاد الريف فترك الشيخ أبو الحمايل الطريق
المسلوك النائم وساق حمارته في أرض الحرث المنشقة فلم يتبعه أحد من الجماعة غير سيدي محمد
فلما التفت وراءه قال أحسنت يا محمد فإني إنما فعلت ذلك امتحانا لكم لأعرف هل تتبعني في المتاعب أو

تعارضني



تعارضني كما فعل الجماعة انتهى وامتحان الأشياخ لمريديهم لم يزل يقع كثيرا ولذلك كان الغالب على المريد
عدم السلامة فإن الأشياخ أعظم من الملوك والحمد لله رب العالمين ومما أنعم الله به علي عدم خروجي
من بيتي في أغلب الأيام إلى الزاوية أو غيرها إلا أن علمت من نفسي القدرة بإذن الله تعالى على هذه الثلاث
خصال تحمل الأذى من الناس وتحمل الأذى عنهم وجلب الراحة لهم فإنه لا بد لمن يخالط الناس من هذه
الخصال الثلاث زيادة على ما كلفت به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة للجميع مع ترك المؤاخذة
لهم فاعذروني أيها الإخوان في كل يوم لم أخرج إليكم واعذروا كل فقير كذلك فإن هذا الزمان قد
اختلفت فيه الأحوال فربما أتى الأذى لك ممن تقصد له الراحة وربما أتاك الغش ممن تبالغ في نصحه
وربما أتاك الخذلان ممن تحب معه في مناصرته على أعدائه وربما أتتك العداوة ممن قصدته بالمحبة
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول أوصاني سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه قال يا علي
إياك والإكثار من مخالطة الناس كل واحد منهم يطلبك لما يختاره من هواه ولو كان ذلك يهلك
دينك ودنياك ولينبه فيما يعود مصلحته عليك أربح فإن وافقته خربت دنياك وآخرتك
فإن خالفته جرى لك سيف المعاداة والمعاندة مع أن غيره كذلك يطلب ويقصد منك خلاف مقصد
هذا ولو كانا شخصين فقط فكيف بجميع أهل بلدك انتهى وكان أخي أفضل الدين رحمه الله يقول قد
جربت الناس فرأيت بعضهم كالحية وبعضهم كالعقرب وبعضهم كالسبع وبعضهم كالذئب
وغير ذلك من أصناف الفواحل فمن لا يدع لي هم فقاتل مع لين مسه كالحية ومن لاسع كالعقرب ومن
مزاوغ كالثعلب ومن مهاوش كالكلب ومن محتال كالذئب ومن غبي كالدب ومن محتال كالفهد
ومن محاك كالقرد ومن شديد الغضب والبأس كالأسد ومن بليد كالحمار ومن حقود كالجمل ومن
وثاب علي كالنمر ومن ناس لما فعل معه من الخير كالفار ووالله ما أشبه نفسي بين هؤلاء إلا كالفرخ
الذي لا ريش له أو كالطير الذي لا جناح له وهم يتساقطون علي بالأذى كتساقط الذباب على
العسل أو الكلاب على الجيفة أو الحداة على اللحم فيحجرون تماذنوني ويتناهشوني وإن تركوني يعطفون
ويلعنوني ويلعنوني ويذموني ويسبوني فإني إلى العفو والسلامة مع مثل هؤلاء على أن السباع
والحشرات الذين ضربنا بهم المثال أقل ضررا من الناس لأنهم لا يمنعوني من أعمال آخرتي ولا يجرون
علي في نفسي ولا يفتشون سري ولا يعيبوني على كلامي ولا يغري بعضهم بعضا على إيذائي ولا يحولون
بيني وبين ربي انتهى وسمعته مرة أخرى يقول إذا قدر الله تعالى عليك الاجتماع بالناس لواجب
حق أو لضرورة خلق فإياك أن تعطيهم من نفسك في الصحبة والاجتماع فوق الضرورة
مع شدة الاحتراز من نفسك عن فضول الكلام معهم اللهم إلا أن يجب من هو على نعت الاستقامة
فذا مخالطته من السعادة ولكن أين من هو بهذا الوصف في هذا الزمان الذي صار فيه الدليل
حيران وصار غالب علم العلماء صناعة وسلما يتوصلون به إلى الرياسة الدنيوية والشهوات النفسية
وقنعوا من العلم بظاهره دون العمل بحقائقه والكشف عن دقائقه انتهى فعليك بملازمة التقوى
وإياك أن ترجح ميزان الشريعة بيديك والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي أني لا آكل
ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك إذا جنى علي أحد جناية يؤذيني بها بين الناس حتى أتوجه إلى الله
تعالى في سؤال العفو عنه ويلقي الله تعالى في قلبي أنه عفى عنه من كثرة ما دعوت له وأقسمت به
على الله تعالى وهذا الخلق لم أجتمع بأحد من أهله إلى وقتي هذا غايتهم الدعاء بالمغفرة ثم يأكلون
ويشربون وينكحون ولا عليهم أن كان الله تعالى قبل دعاءهم أو رده وفي الحديث أيعجز أحدكم
أن يكون كأبي ضمضم كان إذا أصبح تصدق بعرضه على الناس فجعل غايته إيذاء في مكارم الأخلاق

اللهم إني أعوذ بك منك بالكلية

Copyr… ng … versity